كتاب أسرار التنزيل وأنوار التأويل

من تصانيف مولانا الشيخ الإمام العالم الكامل أفضل المتأخرين مكمل علوم الأوائل والأواخر
علامة المحققين محمد بن عمر بن الحسين الرازي قدس الله روحه ونور ضريحه

هذا الكتاب لو تتبع يوقف على ضمان الباقي

الحمد لله الذي صلى الله وملائكته على النبي

اروي هذا الكتاب المبارك بروايته عن شيخنا واحد وهو الذي ع بلادنا جماعة منها رباه كتاب
اسرار التنزيل وانوار التأويل وفي آخر الكتاب ما هذه صورته بخط مؤلفه وما آتاه وروايته لهم الله تعالى
عن والدي الامام الحافظ ابو القاسم بن عساكر الحلوي بروايته عن الامام ابو علي الحداد الحدادي بروايته عن الامام
ابو بكر بن الحسن بن عمر البيهقي بروايته عن الامام محمد بن ع وارويه احيانا مناولة عن
الشيخ الامام محمد الدين محمد بن يحيى العمراني وهو قد عليها بروايته في سنة تسع وتسعين
واجمعه في مكة المشرفة في سنة ١٢٧١ واجازني ع جميع مروياته ثم حج العماد بن الدين عبد
المنعم الشهير السخاوي بروايته عن الامام الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي بروايته عن
عبد الكريم بن عيسى الكشوري بروايته عن الامام فخار رضي الله عنه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا كما تحب وترضى

التبيان ... التبيان ... للسر الذئب وت
ترتيب القاموس ج ١ ص ٢٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم ... الحمد لله الذي ظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيّر بمثل العقول من عجائب صنعه وتردع جبروت عظمته الفكرون عن عرفان كنه صفته بعلم مجمع الوجوه شتى العلوم ومعاصي العباد في خلواتهم وأحلاقهم لتبيان في ليجازيهم بأحسن الجزاء فتلاطم الملا بأنواع الخاصات الذي عظم حلمه بعد علمه وعدله في كل ما قضى وعلم ما مضى وما مضى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وارتفع بالعز والكبرياء بعلا السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى كان ولا مكان ولا حين ولا أوان ولا ورد ولا أوان ولا سر ولا جهار ولا ظاهر ولا باطن ولا أعلام ولا أجرام ولا حلول ولا أنام ولا خامد ولا جليد ولا ماكل ولا هامد ولا متحرك ولا ساكن ولا ظاهر ولا باطن ولا لوح ولا قلم ولا حس ولا روح ولا عرش ولا كرسي ولا جنى ولا إنسي ولا محصور ولا دفع ولا ضر ولا نفع ولا طول ولا عرض ولا سماء ولا أرض ولا ليل ولا نهار ولا حر ولا قار ولا حسن ولا قبح وحدانيّ ليس معه الفناء فاني لا يبلى دائم لا ينفى عالم لا يلهو حافظ لا ينسى جبار لا ينام عزيز لا يرام حي لا يموت ذو الملك الملكوت والعز والجبروت احمده حمد ملبق بعلو شانه وباهر برهانه وعظم احسانه وعظم امتنانه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مقرونة بالصدق والصواب معبرة عن السكون الارتياب واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الذين لم يسلبنا اما بعد فقد اكتب نوجو من وصول بعلم واحسانه القديم ان يوفقنا لنظمه ويفتحه وبعده به وبلوجه ويتناه على اربعة اقسام القسم الاول لنظمه ما يتعلق بعلم الاصول الثاني ما يتعلق بعلم الفروع الثالث ما يتعلق بعلم الاخلاق وتصفية الباطن والرابع ما يتعلق بالجانب الغربي وسال الله العظيم ان يوفقنا لاتمامه انه حرما مول واكرم مسؤول القسم الاول من هذا الكتاب ما يتعلق بعلم الاصول واعلم ان الطريق العلم قد دل على ان معاقد الايمان مبنية على امور اربعة كما قال سبحانه وتعالى والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ونحن نتكلم على علم الاصول على هذه القواعد الاربعة القاعدة الاولى معرفة الله تعالى اعلم ان معرفة الله تعالى واصل الايمان ورأسه معرفة الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء ونحن نتكلم على هذه الامور الخمسة

الباب الاول

معرفة الذات وفيه فصول الفصل الاول في اسرار كلمة لا اله الا الله اعلم ان الله سبحانه وتعالى امر عباده ان يعلموا انه لا اله الا الله وان يستغفروا لذنبهم كما قال سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فالسبب في معرفة التوحيد والاستغفار الى علم الفروع والاصل يحتاج الى علم الفروع فلهذا علم ان وجود الاصل شرط لصحة الفروع وصحة الفروع معتبر في اي كثير

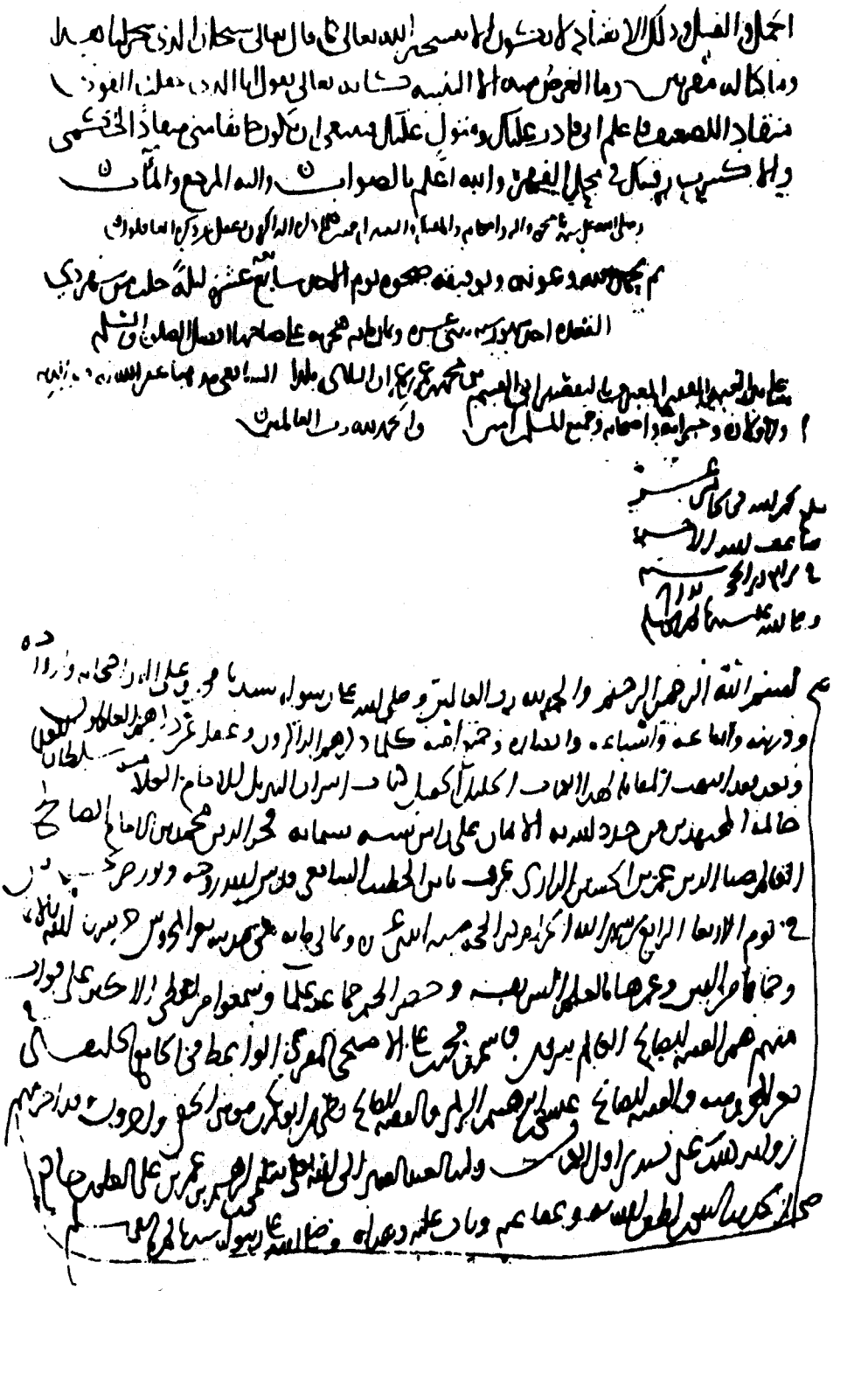

أ ـــ تعريف بالمؤلف:

الفخر الرازي هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي البكري، الطبرستاني، الشافعي المعروف بـ«فخر الدين الرازي» وبـ«ابن خطيب الري»، (أبو عبد الله، فخر الدين أبو المعالي) الإمام المفسّر والعالم المتبحر، إمام المتكلمين، الفقيه الأصولي والحكيم الأديب الشاعر المطلع في علمي المنقول والمعقول، ولد بالريّ في اليوم الخامس والعشرين من رمضان سنة 544هـ ـ 1150م. تربى الرازي على يد والده العالم ودرس عليه مبادىء العلوم، ثم بدأ رحلاته في طلب العلوم فتوجه إلى خوارزم وبخارى وسمرقند وخجند وبناكيت وغزنة وبلاد الهند وما وراء النهر، وقد أمضى سنوات عدة من عمره في هذه الرحلات فأخذ خلالها العلوم والمعارف الإسلامية من مشاهير العلماء ونوابغهم أمثال: كمال السمناني والمجد الجيلي، ثم شرع بالتدريس والبحث والدراسة والتحقيق والتأليف فقصده طلاب العلم من جميع الجهات وشدوا إليه الرحال من كافة الأقطار، فأصبح علماً مشهوراً وشيخاً موقوراً وانتشر صيته في الآفاق، ففاق علماء زمانه على الإطلاق، فاتصل بالملوك والأمراء يوجّه إليهم النصائح ويقضي للناس حوائجهم لديهم ويفرج عن كروبهم، كما كان يؤيد السلاطين يحببهم إلى شعوبهم ليقفوا أمام زحف التتار الذين كانوا يحاولون منذ مدة اجتياح البلاد الإسلامية فكانوا يصدون هجماتهم على بلاد (خوارزم شاه)، وقد زاد من مكانة الرازي استغناؤه عما في أيديهم حيث كان غنياً بالمال والقلب فبجانب كونه صادق الإيمان ذا رياضة روحية، زاهداً في الدنيا ومباهجها متكلاً على الله مكثراً من الدعاء والاستغفار دائم الاتصال روحياً بالملأ الأعلى، فقد ورث ثروة طائلة من رجل طبيب ثري من مدينة (ري) حيث كان صهراً لابنته ولم يخلف وارثاً غير بنتيه[1]. كما أتته الأموال الطائلة من الأمراء والملوك وخاصة من شهاب الدين الغوري سلطان (غزنة)[2] وبذلك فقد أصبح مستغنياً عن السعي وراء العيش ونكده، بل قد وظف أمواله في خدمة علمه وبحوثه ومستلزماتهما فانقطع كليًا إلى العلوم والمعارف وتعمق فيها حدّ التوغل والمبالغة فجادت قريحته بالعشرات من المصنفات العلمية الأصيلة والكتب الرصينة والرسائل البليغة تجاوزت سبعين مؤلفاً جلها تعتبر من المصادر المهمة والمبتكرة في بابها.

---

(1) وفيات الأعيان جـ (4/ 250) ومقدمة التفسير الكبير جـ (1/ د).

(2) المصدر السابق.

فلا مغالاة إذا قيل أن الرازي يمثل عقلية عملاقة في الثقافة الإسلامية بجميع فروعها، فهو مفسّر عظيم ومتكلم بارع وفيلسوف دقيق وحكيم ماهر وأديب بليغ. فكتبه العديدة ذات المضامين المتنوعة وآراؤه الكلامية ونظرياته الفلسفية ومنحاه المنطقي واستدلالاته الرصينة المنبعثة من أرضية علمية صلبة ومناقشاته العلمية التي كان يجريها خلال رحلاته وأسفاره والنتائج التي خرج بها نتيجة سبر غور المناقشات العلمية والمناظرات الأدبية وترجيحاته العقلية كلها تؤكد أن الرزاي كان من أكابر علماء عصره وأغزرهم علماً وثقافة وأقواهم شخصية وعمقاً وأصالة، فالمتتبع لآثاره والباحث في مؤلفاته يراه يهتم كثيراً بمعالجة قضية «الألوهية» فهو يتناولها بالبحث والدراسة والاستدلال ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فقلما يخلو كتاب من كتبه عن البحث في هذا الموضوع فكأنه جعل هذا الموضوع نقطة انطلاق بحوثه ومركز دائرة مؤلفاته، فهو يوظف جميع دراساته لخدمة هذا العلم الجليل الذي نعني به (علم العقائد والكلام) فقد تناوله بالتفصيل من خلال تفسيره الكبير وكتبه الأخرى فقد حاول ربط معلوماته ودمجها بهذا العلم الجليل الذي كان متضلعاً فيه ومحبًا له إلى حد الولع والوجد فألّف في الكلام والفلسفة تصنيفاً وشرحاً حوالي أربعين كتاباً آخرها بل آخر ما ألف على الإطلاق هو هذا الكتاب الذي اشتهر بـ**«أسرار التنزيل وأنوار التأويل»** في علم أصول الدين والذي يمثّل عصارة فكر الرازي ونضوجه الثقافي وخلاصة بحوثه الكلامية المنصبة على مبحث الذات تقديساً وبرهاناً، إلا أنه لم يتمكن من إتمامه حيث وافته المنية قبل إنجاز ما وعد به في أول الكتاب. فلا غرو أن يكون هذا الكتاب أعظم كتاب ألف في بابه ولا نغالي إذا قلنا أنه كتاب أحرز قصب السبق على باقي الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وليس هناك كتاب يبلغ شأوه دقة وعمقاً ورصانة في التوجيه وحصافة في الرأي، فلقد صبّ ما درسه من العلوم الإسلامية ووعاه في عمره الطويل خلال البحث والتحقيق والتدقيق في هذا الكتاب العلمي الغزير بالمادة والعميق في الفكر والأسلوب.

ب ــ تعريف كامل بالمخطوط:

يقع المخطوط في (276) صفحة من قياس 30 × 25 سم، وبواقع (29) سطراً في كل صفحة وهو موجود في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية تحت رقم (318) 5/2 من بقايا الخزانة البابانية. نسخه أبو القاسم محمد بن عمر بن عمران البلاتي بلداً، فرغ من نسخه يوم الأحد السابع عشر من ذي القعدة سنة 812هـ بخط شبيه

بالكوفي خالياً من النقط إلا ما ندر، عناوينه الرئيسة مكتوبة بخط بارز وبحبر مغاير، ورقه ترمة، جلده مزخرف أسود وقد قسّم الكتاب إلى نوعين وعدة أبواب وفصول وكل فصل مقسم إلى تقسيمات فرعية وفيما يلي ثبت بذلك:

النوع الأول: في علم الأصول:

الباب الأول: معرفة الذات

الفصل الأول: في أسرار كلمة لا إله إلا الله.

الفصل الثاني: في فوائد لا إله إلا الله.

الفصل الثالث: في أسماء كلمة التوحيد.

الفصل الرابع: في الأشياء التي شبه الله تعالى كلمة التوحيد بها.

الفصل الخامس: في شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا إله إلا الله.

الفصل السادس: في فضل المؤمن.

الفصل السابع: في إقامة الدلائل على أن الله واحد.

الفصل الثامن: في الأحكام الفقهية المتفرعة على قولنا لا إله إلا الله.

النوع الثاني: في تقرير الدلائل الدالة على إثبات الصانع:

الباب الأول
في كيفية دلالة السموات والأرض على إثبات الصانع

الفصل الأول: في شرح مبدأ تكون السمٰوات.

الفصل الثاني: في تفسير آية أخرى دلت على حدوث مبدأ السمٰوات.

الفصل الثالث: في الاستدلال بصفات السمٰوات وأحوالها الموجودة.

الفصل الرابع: في تقدير صفات السمٰوات.

الفصل الخامس: في تفسير كونه تعالى فاطر السمٰوات.

الفصل السادس: شرح كون السمٰوات خالية عن العبث والنقصان.

الفصل السابع: الاستدلال بأحوال الأرض على وجود الصانع.

الباب الثاني:
في وجوه الدلائل المأخوذة من الشمس والقمر والنجوم

الفصل الأول: في تقرير دلائل الخليل عليه السلام.

الفصل الثاني: في شرح مناظرة إبراهيم عليه السلام مع ملك زمانه.

الفصل الثالث: في شرح مناظرة إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

الفصل الرابع: في شرح مناظرة إبراهيم عليه السلام مع قومه.

الفصل الخامس: في مناظرة أخرى لإبراهيم عليه السلام في تقرير التوحيد.

الفصل السادس: في تفسير استدلال نوح عليه السلام.

الفصل السابع: في شرح مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون.

الفصل الثامن: في شرح كيفية دلالة الشروق والغروب على وجود الصانع.

الفصل التاسع: في كيفية الاستدلال بأحوال اختلاف الليل والنهار.

الفصل العاشر: من مسائل متفرقة في هذا الباب.

الباب الثالث:
في الاستدلال بخلقة الإنسان على وجود الصانع الحكيم

الفصل الأول: في الحكمة في خلق الإنسان.

الفصل الثاني: في شرح فضيلة الإنسان.

الفصل الثالث: في بيان أن أول الآباء هو آدم عليه السلام.

الفصل الرابع: في كيفية تخليق آدم عليه السلام.

الفصل الخامس: في عجائب تكوين الأجنة.

الفصل السادس: في شرح أحوال الإنسان.

الباب الرابع:
في الاستدلال بأحوال الحيوانات على قدرة الصانع

الفصل الأول: في الاستدلال الكلي بأحوال الحيوانات.

الفصل الثاني: في الاستدلال بأحوال الطيور.

الفصل الثالث: في البعوض.

الفصل الرابع: في الذباب.

الفصل الخامس: في أحوال الأنعام.

ولقد ثبت عنوان الكتاب في أول صفحة من المخطوط على الوجه الآتي:

«أسرار التنزيل وأنوار التأويل من تصانيف مولانا أستاذ العالم أفضل المتأخرين مكمل علوم الأوائل والأواخر خاتم المجتهدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي قدس الله روحه ونور ضريحه».

ثم ثبتت إجازة الكتاب بالرواية من قبل سليمان بن إبراهيم العلوي نصها الآتي:

«أروي هذا الكتاب المبارك وترجمته تشهد بأنه كتاب واحد وهو الذي في بلادنا كما وجدنا كتاب «أسرار التنزيل وأنوار التأويل» وفي آخر الكتاب ما يشعر بغير ذلك، وخطنا عليه هناك، وأنا أرويه بحمد الله العلي عن والدي الإمام الحافظ إبراهيم بن عمر العلوي بروايته عن الإمام أحمد بن علي الحراري العدني، بروايته عن الإمام الزكي بن الحسن بن عمر البيلقاني بروايته عن الإمام فخر الدين. وأرويه إجازة

أيضاً مشافهة عن الشيخ الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي[1] قدم علينا بتعز المحروسة في سنة سبع وتسعين وسبعمائة واجتمعت به في مكة المشرفة في 783هـ وإجازتي في ذلك بروايته عن قاضي القضاة نور الدين علي بن عبد النصير السخاوي بروايته عن الشيخ الإمام الحافظ عبد المؤمن[2] بن خلف عن الشيخ عبد الحميد بن عيسى «الخسروشاهي» الدمياطي بروايته عن الإمام فخر الدين رَحِمَهُ اللَّهُ. أنا (العبد الفقير إلى الله العلي سليمان بن إبراهيم العلوي)[3] لطف الله به (ورحمه) في سلخ الرابع من شهر ذي الحجة الحرام سنة اثنتي عشرة وثمانمائة مدينة تعز المحروسة وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً مباركاً طيباً منه كما يحب ويرضى».

وعلى النسخة وفي الصفحة الأولى تملكات عدّة كلّها تؤكد أهمية الكتاب.

نسبة الكتاب إلى الرازي:

لعلّنا قد ألقينا في التعريف بالمخطوطة ضوءاً ساطعاً على صحة نسبة الكتاب إلى الرازي بما لا يقبل الشك والترديد ولا يدع مجالاً للمناقشة والجدل؛ فإن المخطوطة ترجع إلى بداية القرن الثامن الهجري، وهي قريبة العهد بالمؤلف نسبياً.

فما وجدناه بخط الناسخ من نسبته الكتاب إلى الرازي كافي في تصحيح النسبة، فضلاً عما ورد في إجازة الكتاب ومقابلة المخطوطة على الأصل الذي نسخت منه، عن سليمان بن إبراهيم العلوي سنتي ثمانمائة واثنتي عشرة وثمانمائة وثلاث عشرة للهجرة على الترتيب.

فقد وردت في الإجازة نسبة الكتاب إلى الرازي مرتين: مرة عند الحديث عن الإجازة بالرواية، وأخرى حين الكلام على الإجازة بالمشافهة، وكذلك وردت النسبة عند الكلام على المقابلة، وهذه حجج لها مكانتها التي لا تنكر ودلالتها الواضحة التي تقطع كل مجال للريب، سيّما إذا استندت على كتابة محدث مثل سليمان بن إبراهيم العلوي.

---

(1) انظر: معجم المؤلفين (12/ 118).
(2) انظر: معجم المؤلفين (6/ 197).
(3) انظر: معجم المؤلفين (4/ 252).

على أن شخصية الرازي وموسوعيته باديتان على الكتاب بوضوح؛ فقد أكثر فيه الرازي من الحجج العقلية والنقلية إلى حدّ الإسراف، ودقق في مواضعه أشد ما يكون التدقيق، وأطال ذيل البحث في كل مجال أقصى ما تكون الإطالة.

واستخدم فيه جميع مبادىء العلوم المتوفرة في عهده في إقامة الحجج، إضافة إلى سرد الدلائل النقلية من القرآن الكريم والحديث الشريف، والاهتمام الزائد ببيان وجوهها ودلالاتها المحتملة، وسرد أقوال الصحابة والسلف مما لم يكن متوفراً لأحد من علماء الكلام أو المفسرين لوحده إلا للرازي الموسوعة.

وبالرغم من هذه الدلائل الواضحة فقد جزم أيضاً حاجي خليفة بصحة نسبة الكتاب للرازي، ونقل شيئاً من صدره ومقدمته ويبدو أنه الوحيد بين من تعرضوا لهذا الكتاب من أصحاب الفهارس والمحققين والذين تكلم عنه عن خبرة ومشاهدة فقد قال:

(أسرار التنزيل وأنوار التأويل ـ مجلد للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي سنة 606هـ (ست وستمائة) وهو مجلد أوله: الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه، ذكر فيه أنه على أربعة أقسام: الأول في الأصول، والثاني في الفروع، والثالث في الأخلاق، والرابع في المناجاة والدعوات لكنه توفي قبل إتمامه فبقي في أواخر القسم الأول)[1].

وبالرجوع إلى صدر الكتاب يظهر أن ما ذكره حاجي خليفة هو نفس ما ذكره المؤلف، فهو إذاً الكتاب الذي تعرض له حاجي خليفة، وأنه للرازي، وفيما ذكره إفادة أنه آخر ما ألفه الرازي مما يضفي أهمية خاصة بالنسبة إلى أنه يحتوي على آخر الآراء التي ارتضاها الرازي لنفسه ما يحب أن يلقى الله به.

إلا أن قوله: (فبقي في أواخر القسم الأول) ليس دقيقاً بما فيه الكفاية إذ أن مصطلح الأصول حتى ولو كان مراداً به أصول الدين فإن الكتاب لم يتعرض إلا لجزء قليل منه وهو مبحث ذات الله تعالى تقديساً وبرهاناً، وهو لا يشكل إلا حوالي الخمس من مباحث علم أصول الدين وهو واضح من أسلوب الرازي نفسه في ذلك الموضع

(1) كشف الظنون ج (2/ 83).

حيث يقول: (واعلم أن معرفة ذات الله تعالى لا تحصل إلا بأمور خمسة: معرفة الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء ونحن جعلنا معرفة الله تعالى مبنية على هذه الأمور الخمسة، الباب الأول في معرفة الذات).

ومن الواضح أن ما وصل إليه الرازي من المجلد الذي ذكره حاجي خليفة لا يتعدى الكلام على معرفة الذات إلى غيرها من الأصول الأربعة الباقية، على أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار سائر مباحث علم الكلام يكون ما وصل إليه الرازي جزءاً قليلاً منه لا غير.

أما من عدا حاجي خليفة فيبدو أنهم لم يذكروا كل الحقيقة عن اسم الكتاب ونسبته وموضوعه؛ فقد ذكره إسماعيل باشا البابانى[1] ضمن سرد مؤلفات الرازي بالاسم الذي ذكره به حاجي خليفة دون أن يتعرض لموضوع الكتاب ولا لشيء من المعلومات الأخرى.

وذكره الزركلي[2] ضمن سرد مؤلفات الرازي باسم (أسرار التنزيل) فقط ثم ذكر أنه في علم التوحيد وهو قاصر كما ترى.

وذكرته هيئة التحقيق للتفسير الكبير للفخر الرازي في المرتبة الثالثة بعنوان (كتاب التفسير الصغير واسمه أسرار التنزيل وأنوار التأويل) وهو يوحي بأنه في التفسير وليس كذلك.

وذكره الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد باسم (أسرار التنزيل وأنوار التأويل) وصحح نسبته إلى الرازي ولكنه جعله من كتب التفسير أيضاً[3].

ويبدو أن هؤلاء جميعاً لم يطلعوا على الكتاب نفسه وإنما على قوائم مؤلفات الرازي الذي ذكرتها المصادر، واستقوا موضوع الكتاب من اسمه، ولكن الذي نريد أن نؤكده هنا أن الكل متفقون على أن الكتاب للرازي وإن قصروا في بعض المعلومات الأخرى.

---

(1) انظر: هداية العارفين ج (1/ 107).
(2) انظر: الأعلام ج (7/ 203).
(3) انظر: الرازي مفسراً رسالة للدكتوراه، ص: 38.

«ترجمة الإمام العالم سلطان العلماء فخر الدين»

هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، العلاّمة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين أبي عبد الله القريشي البكري التميمي الطبرستاني الأصل ثم الرازي ابن خطيبها، الشافعي، المفسر المتكلم صاحب المصنفات المشهورة والفضائل الغزيرة المذكورة. اشتغل أولاً على والده ضياء الدين عمر، وهو من تلامذة محب السنة البغوي، ثم لما مات والده قصد الكمال السمناني فاشتغل عليه مدة ثم عاد إلى الري فاشتغل على المجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى الفقيه أحد تلامذة الغزالي وأتقن علوماً كثيرة وبرز فيها وتقدم وساد وقصده الطلبة من سائر البلاد، وصنف في فنون كثيرة. فمن ذلك تفسيره المشهور وله تفسير الفاتحة في مجلد منفرد، وله شرح الأسماء الحسنى، وله مناقب الشافعي ﷺ أكثر فيه من الحكايات والغرائب، وقد شرح الوجيز أو أكثره وله شرح سقط الزند وشرح المفصل والمحصول في أصول الفقه والمنتخب، وله الأربعون في علم الكلام ونهاية العقول والمطالب العالية وتأسيس التقديس وكتاب الملخص وشرح الإشارات والمعالمين في الأصلين وله نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علم البيان وغير ذلك من المصنفات المتنوعة. ومنها ما ذكره القاضي شمس الدين ابن خلكان وهو «كتاب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم» وقد قيل إنما صنفه لأم الملك (خوارزم شاه) وأنها أعطته على ذلك جعلاً فعمل صناعة وبياناً لفضله وتمكنه من العلوم ومنهم من أنكر أن يكون من مصنفاته والله أعلم. وكان له مجلس كبير للوعظ وكان يتكلم كلاماً جيداً وله تمكن من الوعظ باللسانين العربي والتركي، وكان يحضره الناس على اختلاف أصنافهم ومذاهبهم ويجيء إلى مجلسه الأمراء والأكابر والملوك ويحصل له بكاء في مجلسه ورقة ويظهر عليه خشوع؛ ومات بسببه أناس كثيرون، وجدت بينه وبين جماعة من الكرامية مخاصمات وفتن وأوذي بسببهم وأذاهم وكان ينال منهم في مجلسه وينالون منه، وأخرج من بعض البلدان بسببهم فيما ذكره القاضي ابن خلكان. قال: «ثم عاد إلى

بلده وكان بها رجل طبيب له أموال كثيرة وحضره الموت فأوصى إلى الإمام فخر الدين وكان له ابنتان ولفخر الدين ابنان فزوجهما لهما، واتسعت الأموال على فخر الدين كثيراً وأقبل عليه الملوك وصارت له أرزاق وأنعام كثيرة وصارت له سيادة ووجاهة وخدم وحشم»، ثم أثنى عليه كثيراً وبالغ في وصفه ومدحه.

وأما الشيخ الإمام تقي الدين ابن الصلاح فلم يكن مقبلاً عليه وربما غض من مكانته.

وتوسط فيه أبو شامة وذكر أنه خلف من الذهب بمائتي ألف دينار والله أعلم.

وذكره الإمام الذهبي في كتاب الضعفاء وهذا مجرد تعصب، فإن الرجل ثقة ثبت أحد أئمة المؤمنين ثم إنه لا رواية له فكيف يدخله مع الرواة وذكره في حرف الفاء وسماه الفخر وهو لم يشتهر بهذا إنما نظر إلى هذا التحامل المفرط، انتهى.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: جالت أقلام الإمام فخر الدين في فنون كثيرة من العلوم واتسعت دائرته وتسلط في فن الكلام خاصة حتى قيل أنه كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في ذلك، وله اختيارات كثيرة في كتب متعددة يرد بعضها بعضاً ولكن الذي صنفه على طريقة أهل الكلام (نهاية العقول) وهي من أجود كتبه، وكذا كتاب الأربعين وأما المباحث المشرقية فأكثرها على طريقة الحكمة ومذاهب الفلاسفة وكتاب (المطالب العالية) أجمع ذلك كله وهي آخر ما صنف في ذلك ولهذا لم يتمه وبقي عليه منها بقية ثم قيل أنه ندم على دخوله في هذا الفن، كما قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح حدثني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع الفخر الرازي يقول: ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى ومن شعره وكلامه:

نهاية أقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة في جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
فلم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادروا جميعها مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فبادوا والجبال جبال

ثم يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها

تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن. اقرأ في التنزيه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:38] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:11] و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1] واقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:50] و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:10] واقرأ في أن الكل من الله قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:78] ثم يقول: أقول من صميم القلب من داخل الروح أني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك، وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه وهذه وصيته عند موته: (أنا) والدي الإمام برهان الدين العلوي ـ وآخرون ـ قالوا: (أنا) الشيخ الإمام عماد الدين ابن كثير قال (أنا) الشيخ الإمام كمال الدين المراغي عمر بن إلياس بن يونس قدم علينا دمشق وكان أحد تلامذة النصير الطوسي بقراءتي عليه بدار الحديث الإشرفية (أنا) التقي يوسف بن أبي بكر النسائي بمصر قال: (أنا) الكمال محمود بن عمر الرازي قال سمعت الإمام فخر الدين يوصي تلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني، يقول العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه محمد بن عمر بن الحسين الرازي وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس ويتوجه إلى مولاه كل آبق وأحمد الله العلي بالمحامد التي ذكرتها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهاداتهم وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب وصلواته على الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين.

ثم اعلموا إخواني في الدين وأخلائي في طلب اليقين أن الناس يقولون أن الإنسان إذا مات انقطع عمله وتعلقه عن الخلق، وهذا مخصوص من وجهين:

الأول: أنه إذا بقي معه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له عند الله أثر. **والثاني**: ما يتعلق بالأولاد وأداء الجنايات، أما الأول فاعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم فكنت أكتب في كل شيء لأقف على كلّيته وكيفيته سواء كان حقاً أم باطلاً، إلا أن الذي نظرته من الكتب المعتبرة أن العالم المخصص تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة. ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن الكريم لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلالة لله ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك

المضايق العميقة والمناهج الخفية فلهذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية والتقدير والفعالية فذلك هو الذي أقول به وألقى الله به، وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض فكل ما ورد في القرآن والصحاح المتعين للمعنى الواحد فهو كما هو والذي لم يكن كذلك أقول: يا إلٰه العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فكل ما مر به قلمي أو خطر ببالي فأستشهد وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير اعتقدت أنه الحق وتصورت أنه الصدق فلتكن رحمته قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقل وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة فأغثني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه أخطاء المجرمين.

وأقول: ديني متابعة الرسول محمد ﷺ وكتابي القرآن العظيم وتعويلي في طلب الدين عليهما. اللهم يا سامع الأصوات ويا مجيب الدعوات ويا مقيل العثرات أنا كنت عند حسن الظن بك عظيم الرجاء من رحمتك وأنت قلت: «وأنا عند ظن عبدي بي» وأنت قلت: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه» فهب أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم وأنا المحتاج اللئيم. وأعلم أنه ليس لي أحد سواك ولا أجد كريماً سواك، ولا أحد محسناً سواك وأنا معترف بالذل والقصور والعيب والفتور ولا تخيّب رجائي ولا ترد دعائي. واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت وبعد الموت وعند الموت سهّل علي سكرات الموت فإنك أرحم الراحمين.

وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التّفضل والإنعام وإلا فليحذف القول السيىء فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر والاعتماد في الكل على الله ﷻ.

ثم ذكر فصلاً في الوصية بأولاده وأطفاله إلى أن قال: وآمر تلامذتي ومن لي عليه حد إذا أنا مت يبالغون في إخفاء موتي ويدفنوني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرأوا علي ما قدروا عليه من القرآن ثم يقولون: يا كريم جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه.

وكانت وفاته بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة. قال الشيخ شهاب الدين

أبو شامة: وبلغني أنه خلَّف من الذهب بمائتي ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك، وترك ولدين كان الأكبر منهما قد تجنجد في حياة أبيه وخدم السلطان (خوارزم شاه) وقال الموفق: كان ربع القامة ضخم البدن كبير اللحية في صوته فخامة، وذكروا أنه كان يلحقه حالة الوعظ حال وجد حتى أنه قال يوماً للسلطان شهاب الدين وهو تحت منبره: يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي يبقى، وإن مردنا إلى الله. فأبكى السلطان رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن تلامذته المشهورين مصنف الحاصل تاج الدين محمد بن الحسين الأرمو، وشمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي، والقاضي شمس الدين ابن الجويني، ومحيي الدين قاضي مزيد، انتهى.

قلت: ومن تلاميذه الزكي بن عمران البيلقاني قدم إلى عدن صنف وأفاد وأقرأ وكان إماماً بارعاً، وقطب الدين المصري وغيرهما والله أعلم.

وقلت: وقدم علينا نفر لبعض أولاد مواليه وعتقائه وحكى لي مشافهة غير مرة أن آباءه تواتر عندهم أن رأس الشيخ الإمام فخر الدين كان كبيراً كالعمامة الكبيرة، تمت مقابلتها في آخر نهار السبت السابع من شهر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثماني مائة. كتبت هذه الترجمة تبركاً بالإمام هذا... والله علينا من بركاته.

وكتب العبد الفقير إلى الله العلي سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي خادم الحديث النبوي لطف الله به وكان له.

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وسلم.

انتهى

فكرة تحقيق الكتاب والجهود المبذولة في هذا المجال

عندما كنا نقوم بفهرسة الكتب المخطوطة الموجودة في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية التي كانت من بقايا مكتبة البابانيين العامرة ـ في حينه ـ بأمّهات الكتب النادرة والمهمة، عثرنا على النسخة المخطوطة من هذا الكتاب، وبعد تفحصه والبحث عنه في فهارس المخطوطات المتوفرة لدينا علمنا بأهمية الكتاب ومكانته بين الكتب التراثية الإسلامية وعلو مرتبته بين مؤلفات الرازي، فعقدنا العزم على تحقيقه وطبعه مساهمة متواضعة منّا في إحياء التراث الإسلامي، وقمنا بالبحث عنه جدياً في فهارس المخطوطات بغية العثور على أماكن وجود نسخ أخرى منه وراسلنا عدة مكتبات وجهات متخصصة داخل العراق وخارجه، فوردت إلينا عدة إجابات من تلك الجهات توصلنا من خلالها إلى نتيجة واحدة وهي: أن هناك عدة نسخ بنفس العنوان في مكتبات القاهرة وبلاد الهند وتونس والمغرب والقسطنطينية وغيرها، ولكنها ليست النسخة الأصلية الموجودة بحوزتنا وإنما هي نسخ من كتاب اختصر فيه الكتاب الأصلي، مع العلم أن هذا المختصر لا يمثل إلا عشره، فأصبحنا نعتقد أن نسختنا يتيمة لا ثانية لها في مكتبات العالم، وبعد فترة من الزمن عثرنا على نسخة أخرى من الكتاب ناقصة الأول والآخر، يبدو أن تاريخ نسخها يرجع إلى القرن السابع الهجري وتوجد في مكتبة الأوقاف المركزية بالسليمانية تحت رقم (309/ 3/ 5) وبعد فحصها وجدنا أنها مختصرة من الكتاب الأصلي.

وفي عام 1985 سمعنا أنه جرى تحقيق الكتاب في القاهرة من قبل الأستاذ عبد القادر أحمد عطا، وتم طبعه ونشره من قبل دار المسلم تحت عنوان «من أسرار التنزيل للإمام الرازي» وعندما حصلنا على النسخة المطبوعة وجدنا أنها النسخة المختصرة أيضاً والتي توجد منها نسخ عديدة في مكتبات العالم، ولقد قام المحقق بتحقيقها في ضوء ثلاث نسخ موجودة بالقاهرة ولدى مقابلتها بنسختنا التي قمنا بتحقيقها خرجنا بنتيجة وهي: أن المطبوع لا يمثل إلا أقلّ من عشر الكتاب، حيث

وجدنا أن هناك فصولاً وأبواباً كثيرة موجودة في نسختنا ولكنها حذفت من المطبوعة تماماً فأصبحنا متأكدين أن جميع هذه النسخ المختصرة وبضمنها النسخ التي تم تحقيق المطبوع على ضوئها ما هي إلا نسخ جرى اختصارها من قبل أحد العلماء من الكتاب الأصلي بغرض الحفظ والدراسة، وقد كان هذا الأسلوب متبعاً ولهذا سماه: «من أسرار التنزيل...» بزيادة من التبعيضية. ولقد تداولتها الأيدي بالنسخ والنقل فانتشرت في مكتبات العالم وهذا ما جعلنا أمام حالة أكثر إلحاحاً في تحقيق الكتاب ودفعه إلى الطبع ونشره لتسد مكانه في مكتبات العالم الإسلامي ولتصحيح هذا الخلط والتشويه في كتاب مؤلف كالرازي حيث إن النسخة المختصرة مبتورة وغير متسلسلة الأفكار والمضامين وناقصة الأدلة والحجج.

ولما كانت نسختنا صحيحة وعهد نسخها قريباً من عصر الرازي، وأن ناسخها كان متقناً في النسخ إلى حد كبير ثم أجريت عليها مقابلة من قبل أحد المحدثين المشهورين وهو «سليمان بن إبراهيم العلوي» وتداولتها الأيدي بالتملك والمراجعة والتدريس فقد آثرنا عدم التريث في نشرها على أمل الحصول على نسخة أخرى أو عدة نسخ من زوايا مكتبات العالم كما أن الهدف من الحصول على أكثر من نسخة لتحقيق كتاب ما هو إلا رد النص إلى أقرب ما كتبه المؤلف، ونحن على يقين بأن النسخة التي بين أيدينا هي أقرب ما يكون إلى ما كتبه الرازي ورضي به وأخرجه إلى الناس.

ولقد بذلنا جهوداً مضنية في سبيل إخراج الكتاب بهذا الشكل حيث إن تاريخ نسخه قديم، وغير منقوط إلا نادراً، وتعرض إلى ظروف جوية سيئة فبذلنا كل ما بوسعنا في سبيل قراءته بصورة صحيحة ولقد استفدنا أحياناً من النسخة الناقصة التي أشرنا إليها سابقاً في تقويم بعض الكلمات حيث إنها كانت أسهل قراءة وأوضح خطاً وأكثر تنقيطاً، فقمنا بمقابلة النسختين قدر الإمكان وأشرنا إلى الاختلافات والفروق الموجودة بينهما في الهامش مشيرين إلى النسخة الكاملة بحرف (أ) وإلى النسخة الأخرى بحرف (ب)، كما قمنا بتخريج الآيات والأحاديث الموجودة في النص وذكرنا نبذة مختصرة عن الأعلام في الهامش أيضاً.

ولم نكن نبيح لأنفسنا تغيير شيء من النص أو الزيادة عليه أو النقص منه إلا

عند الضرورة وعندما كان بحاجة إليها حيث لا يستقيم المعنى بدونها وقد دأبنا على وضع الزيادة أو البديل بين القوسين [. . .] المتعارف عليهما بين المشتغلين بتحقيق النصوص التراثية، وزيادة في الحرص على الأمانة العلمية أشرنا في الهامش إلى مصدر التقويم منا أو من غيرنا.

ودعوة مخلصة إلى جميع السادة قراء هذا الكتاب أن يوافونا بملاحظاتهم ومعلوماتهم حول نسخ أخرى اطلعوا عليها، أو تصويباتهم للأخطاء التي وقعنا فيها فنحن لا ندّعي الكمال فالكمال لله وحده وهو من وراء القصد.

ـ اللجنة ـ

أوائل محرم الحرام 1406 ـ أواخر آب 1985

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيّر مُقل العقول[1] من عجائب قدرته، وردع خطرات هماهم النفوس[2] عن عرفان كنه صفته، يعلم عجج[3] الوحوش في الفلوات، ومعاصي العباد في الخلوات، واختلاف (. . . .)* في البحار الزاخرات، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات، الذي عظم حلمه فعفى، وعدل في كل ما قضى، وعلم ما يمضي وما مضى، وله ما في السمٰوات وما في الأرض وما تحت الثرى، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: 7 ـ 8] كان ولا مكان ولا حين ولا أوان، ولا وقت ولا زمان، ولا طل ولا غمام، ولا هواء ولا هوام، ولا خلق ولا أنام، ولا خامد ولا جامد، ولا راكد ولا هامد، ولا متحرك ولا ساكن ولا ظاهر ولا باطن ولا لوح ولا قلم، ولا جسم ولا روح، ولا عرش ولا كرسي ولا جنّي ولا أنسي، ولا خفض ولا رفع، ولا ضرّ ولا نفع ولا طول ولا عرض، ولا سماء ولا أرض، ولا ليل ولا نهار، ولا جنة ولا نار، واحد وحداني، ليس معه إلٰه ثان باق لا يبلى، دائم لا يفنى، عالم لا يلهو، حافظ لا يسهو، جبار لا يضام، عزيز لا يرام، حيّ لا يموت، ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، أحمده حمداً يليق بعلوّ شأنه وباهر برهانه وقديم إحسانه وعظيم امتنانه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقرونة بالصدق والصواب مبرأة عن الشك والارتياب وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[4]، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

---

(1) المقل: جمع مقلة وهي العين وإضافتها إلى العقول مجاز.

(2) هماهم النفوس: أفكارهم وما تهم عند الريبة في الأمر.

(3) عجج: الظاهر ضجيج.

(*) (. . .) إن الكلمة مكتوبة (لتبنان) ولا معنى لها.

(4) اقتباس من القرآن الصف/ 9.

أما بعد، فهذا كتاب الذي نرجو من فضل الله العظيم وإحسانه القديم أن يوفقنا لنظمه وتنقيحه وتهذيبه وتلويحه، ورتبناه على أربعة أقسام:

الأول: ما يتعلق بعلم الأصول.

والثاني: ما يتعلق بعلم الفروع.

والثالث: ما يتعلق بعلم الأخلاق وتصفية الباطن.

والرابع: ما يتعلق بالمناجاة والدعوات.

ونسأل الله العظيم أن يوفقنا لإتمامه إنه خير مأمول وأكرم مسؤول.